الفصل الخامس

الديانة الهندية القديمة

الديانات الهندية القديمة

يبدو للناظر في خرائط الهند أن بلاد الهند واسعة الرقعة متباينة في أجوائها ومناخها واقتضى هذا التباين في الأجواء الطبيعية أن يختلف سكانها في أجسامهم وطبائعهم وأيضًا في اتجاهاتهم وعقائدهم وطقوسهم الدينية.

ولقد أظهرت الكشوف العلمية أن بلاد الهند كان يسكنها بعض الأقوام قبل وفود القبائل الآرية عليها، وهذه الأقوام تعرف بالسكان الأصليين لبلاد الهند «**ويطلق عليهم اسم الشعب الدارفيدي -وهم طوائف على الأرجح من الأمم السامية التي هجرت لسبب ما أوطانها الأصلية في القسم الشمالي الغربي من آسيا، وظلت سائرة في طريقها حتى وصلت إلى جنوبي آسيا الوسطى، واستقر بعضها في الهند حيث أقامت في جماعات مستقلة يختلف بعضها عن بعض في التقاليد والعادات والعقائد**» [١].

وفي عام ١٥٠٠ ق.م على أرجح الأقوال [٢] غزا الآريون بلاد الهند واستقروا فيها وأصبحوا هم المسيطرون على البلاد، واستولوا على مقاليد الحكم، وجلب هؤلاء معهم آلهتهم وديانتهم وحاربوا السكان الأصليين وحاولوا التخلص من جميع آثارهم الدينية والعقائدية بشتى الوسائل -ولكنهم لم يستطيعوا- ذلك لأنهم تشربوا من حضارة وادي نهر الهند، واقتبسوا من السكان الأصليين لبلاد الهند معظم مزاياهم الدينية، كما أدخلوا كثيرًا من آلهتهم في صميم عقائدهم الدينية وصبغوها بالصبغة الآرية [٣].

---

(١) حامد عبد القادر: بوذا الأكبر ص٣.

(٢) وهناك بعض الآراء التي تشير إلى أن الآريين بدءوا يتوافدون على الهند حوالي العام الألفين قبل الميلاد (راجع همايول كبير: التراث الهندي ص٥) مجلس الهند للروابط الثقافية.

(٣) الهند القديمة ص٤٨-٤٩.

أهم مظاهر الديانة الهندية القديمة:

تدل الدراسات الدينية على تعدد المعبودات والمعتقدات في الديانات الهندية وتنوعها حتى أطلق عليها اسم أرض الآلهة، ولا يفوقها في تعقد مشاكلها الدينية وكثرة آلهتها وصعوبة تحديد اختصاصاتهم وسعة الخيال وخصوبته في تصوير المعبودات إلا بلاد الفراعنة» [١].

فاختلفت الديانة من منطقة لأخرى وتعددت المعبودات في المنطقة الواحدة حتى قيل «**إن الهند عرفت جميع أنواع العقائد والفلسفات تقريبًا**» [٢].

وفي الصفحات التالية سنحاول ما أمكن -بعون الله وتوفيقه- تصوير أهم الخطوط الرئيسية في هذه الديانة.

أولا: ديانة الهنود قبل قدوم الآريين:

إن التاريخ لا يشير إشارة واضحة لهذه الديانة، ولذلك تناقضت أقوال العلماء وتضاربت حول هذه الديانة، وكل ما يقال في هذا الصدد إنما هو من قبيل الترجيح والظن. لذلك يجب الحذر والتروي عند قبول كل ما يقال عن هذه الديانة.

وتتلخص أهم معبودات هؤلاء -على سبيل الترجيح- في ثلاث معبودات:

(١) الآلهة الأنثى.

(٢) آلهة الفروج.

(٣) آلهة أخرى تشبه الإله سيفا عند الآريين.

وقد ذكر العلماء أن الآلهة الأنثى من أهم معبودات الهنود الأولين. فمعظم

---

(١) الفلسفة الشرقية ص٩١.

(٢) د/ بركات دويدار: الوحدانية ص٧٣.

الأدوات التي اكتشفت والتي تعبر عن العقائد والديانات عند هؤلاء تضم الآلهة الأنثى أكثر بكثير من الإلة الذكر ولذلك نجد الإلهات مزينة بالحلي الجميلة أو في بعض الأحيان تحمل الأطفال في بطنها أو ترضع الأطفال [١].

واعتقد هؤلاء القوم في قدرة الآلهة الأنثى على التصرف في شئون الإنسان والحيوان بالرضا أو السخط «فمن قدسهن وقدم لهن القرابين رضين عنه وأحطنه برعايتهن، ومن لم يفعل ذلك سخطن عليه وأهلكنه وأهلكن ماشيته» [٢].

يقول د/ محمد غلاب: «ويتلخص القليل الذي كشف من هذه الديانة في أن أولئك القوم كانوا يعبدون على الأخص إلهات إناثًا لأنهم كانوا يعتقدون أنهن قادرات على إيجاد وإبادة الأناسي والحيوانات وأنهن يحمين أكثر الناس تقديسًا لهن، وأن من لا ينلن منه القرابين والضحايا يكن معرضًا هو وحيواناته للدمار.

وكان من بين الآلهة المقدسة لدى هؤلاء (فروج الإنسان).

«وقد وجدت بعض الأحجار التي تشير إلى تقديس الفروج، حيث قدسها هؤلاء اعتقادًا منهم بأنها رمز الحياة والخصوبة في الكائنات».

هذا إلى جانب أنه وجدت بعض الأختام التي تشير إلى أنهم قدسوا إلهًا بقرن وثلاثة وجوه «وكانت هذه الختمة تحمل صورة إله ذي قرن وثلاثة وجوه وهو جالس واضعًا رجلًا له على الأرض، وكأنه في عبادة أو استغراق يرافقه جميع الوحوش» [٣].

وهذا الإله يشبه كل الشبه الإله سيفا عند الهنود الآريين مما يدل على تأثر الآريين بديانات السكان الأصليين.

كما توجد بعض الآثار التي تدل على أنهم قدسوا كثيرًا من الحيوانات، وقد نال الثور مكانًا بارزًا بين تلك الآلهة [٤]، وكان لهم بعض الرموز الدينية

(١) د/ محمد الندوي: الهند القديمة ص٤٤.

(٢) بوذا الأكبر ص٦.

(٣) المرجع السابق ص٤٤-٤٥.

(٤) المرجع السابق ص٤٢.

والسحرية مثل الصليب، والتقاء الكتفين، نقشت على الطوابع والأدوات المعدنية [١].

ديانات الهنود بعد قدوم الآريين:

ويقصد بالديانة الفيدية هي الديانة التي كانت تعتمد على نصوص الفيدا **«حيث كانت الفيدا هي المرجع الوحيد أو المنبع الأساسي التي تستمد منه التعاليم الدينية** [٢].

والفيدا [٣] هي الكتاب المقدس لدى الهنود الآريين [٤] وهي عبارة عن مجموعة من الأناشيد والأوراد والتعاليم والعقائد الدينية وهي مؤلفة من أربع مجموعات تختلف كل واحدة منها عن الأخرى باختلاف الموضوع الذي

---

(١) المرجع السابق ص٤٥. (٢) بوذا الأكبر ص١٠.

(٣) ومعنى كلمة (فيدا): العلم والمعرفة وهي كلمة سنسكرتية مشتقة من كلمة (فيديا) ومعناها علم أو قانون (المرجع السابق ص١٠) وقد ذكر د/ محمد غلاب أن أدق معنى لهذه الكلمة هو (العلم عن طريق الدين بكل ما هو مجهول) وينجم عن هذا التعريف أن تكون (الفيدا) منبع جميع المعارف الهندية من ديانات وأخلاقيات ونظريات علمية أو اجتماعية (الفلسفة الشرقية ص٩٢-٩٣).

(٤) وقد اختلف في أصل وضعها، وزمن وضعها، فالبعض يرى أنها ترجع إلى مصادر هندية قديمة، والآخرون يرون -وهو الراجح- أن الفيدا كتاب الآريين أتوا به إلى الهند وأذاعوه فيهم في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد بعد استيلائهم على بلاد الهند ويرجح هذا الرأي أن ما فيها من صور عقلية واجتماعية هي على طرفي نقيض مع الصورة التي كشفها الأثريون حديثًا للهند القديمة، وفوق ذلك فهي مكتوبة باللغة السنسكريتية وهي لغة لم تكن معروفة لدى الهنود الأصليين ولكنها كانت لغة الآريين القاطنين في بلاد الهند وحدهم (راجع بوذا الأكبر ص١٠، الفلسفة الشرقية ص٩٢).

ولا يعرف المؤرخون بالضبط متى جمعت (الفيدا) وإنما كل الذي ثبت لديهم هو أن بعض أناشيدها يرجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وأن صيرورة هذا الكتاب إلى ما هو عليه قد استغرقت عدة قرون، ويرجح بعض العلماء أنه قد جمع في القرن الثاني عشر قبل المسيح.

أما من الذي وضع هذا الكتاب، ففيه أيضًا اختلاف، فالبعض يرى أن وضعه قد تم على أيدي فريق من حكماء الهند القدامى يطلق عليهم اسم الريشيين أي -الحكماء أو العارفين الذين دونوا بأيديهم الحكمة التي وصلت إليهم بطريق الإلهام الشخصي أو رجال الدين الآري باللغة السنسكرتية وبالشعر، وبهذا لم يكن للفيدا مؤلف واحد كما لا يمكننا تحديد أسماء مؤلفيه (راجع الفلسفة الشرقية ص٩٣، بوذا الأكبر ص١٠، الهند القديمة ص٩٨.

تعالجه. الأولى: رج فيدا: وهي تحتوي على الأوراد، والثانية: ساما فيدا وتحتوي على الأناشيد، والثالثة: ياجو فيدا: وتحتوي على طقوس الضحايا والقرابين، والرابعة: أثار فيدا: وتحتوي على التعاويذ السحرية» [١].

أما آلهة الفيدا فهي آلهة كثيرة ليس من السهل حصرها «**بعضها يتمثل في الشمس -وما تسكبه على الكون من نعمة الإضاءة والدفء والإنعاش، والبعض الآخر يتمثل في قاتل تنين هائل أو وحش مخيف، وقد يصل عدد أولئك أحيانًا إلى ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين إلهًا متساوين حينًا ولهم رئيس أعلى حينًا آخر**» [٢].

وفي مقدمة هذه الآلهة -التي تكثر الفيدا من التضرع إليه ثلاثة: أندرا- أجنى - قارونا أو (مترا).

أما أندرا فقد خص وحده بما لا يقل عن الربع من ابتهالات (الريج فيدا) وشارك غيره في مثل هذا العدد ويوصف بأنه أقوى مظاهر الألوهية، ويعزى إليه أنه هو الذي يهب لإنقاذ الإنسان من الشرور والأخطار التي قد تحدق به فهو بذلك المنقذ الأول للإنسانية [٣].

تقول (الريج فيدا): دعني أحدثك الآن عن أعمال البطولة التي نهض بها أندرا إنه هو الذي قتل الأفعى وشق صخور الجبال ليخرج منها الماء، إنه هو الإله الذي حين خلق لم تلبث القوة الروحانية أن حلت به، إنه هو الذي رعى الآلهة (الآخرين) وحماهم بقوته إنه هو الذي خشى العالمان (المادي والروحاني) شدة بأسه وقوة سلطانه إنه هو أندرا» [٤].

أما (أجنى) فهو المظهر الأول للقوة المقدسة وهو الذي يتراءى للناس في صور مختلفة أدناها نار الموقد، وأسماها ما في العالم السفلي والعلوي من مظاهر العظمة. وقد جعلت النار رمزًا يمثل مقدرة هذا الإله على التطهير وهو

---

(١) الفلسفة الشرقية ص٩٣.
(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.
(٣) بوذا الأكبر ص١٤.
(٤) نقلاً عن المرجع السابق ص١٤.

أيضًا صديق الإنسانية ومنقذها إذ أنه هو الذي يوجد النور بعظمته ويفنى الشر ويهزمه أمام جبروته [١].

أما فارونا فهو الإله الذي يملك مقاليد السموات والأرض وهو الذي منح القوانين والمبادئ الخلقية، وهو إله عالمي يملك سلطات واسعة لا حدود لها[٢].

ثانيا: الديانة البراهمانية الأولى [٣]:

تنسب هذه الديانة إلى (براهمان) [٤] أحد الأسماء التي ذكرت في الفيدا والتي كان الكهنة يستعملونها لتعيين الكائن الأوحد [٥].

وأطلق اسم الديانة البراهمانية: على العقائد والمبادئ الفلسفية التي اعتنقها الكهنة مستنبطة من الفيدات الثلاث الأخيرة -وهي ساما فيدا، ياجوفيدا، أثار فيدا- بطريقة التأمل [٦].

ولقد ظهرت هذه الديانة فيما بين سنتي ٨٠٠، ٦٠٠ قبل الميلاد، وترجع بالإضافة إلى الفيدات الثلاث الأخيرة إلى ثلاث كتب مقدسة هي:

(١) البراهماناس: وهو كتاب مستنبط من الفيدات الثلاث الأخيرة.

(٢) الأرانياكاس: يحوي هذا الكتاب التعاليم التي يجب أن يسير عليها الكهنة.

---

(١) بوذا الأكبر ص١٤. (٢) الهند القديمة ص٨٠.

(٣) توصف الديانة البراهمانية التي ظهرت بين سنتي ٨٠٠، ٦٠٠ قبل الميلاد بالبراهمانية الأولى، أما التي ظهرت بعد بوذا فتوصف بأنها البراهمانية الثانية.

(٤) إن كلمة (براهما) أو (براهمان) كانت -في البداية- بمعنى التبتل، وبمعنى الشعار الديني والصلاة والترنيمة الدينية وفي عصور متأخرة أطلق على الكاهن اسم (براهمان) وقد يكون السبب في ذلك أن -الكاهن عابد متبتل أو مؤلف للترنيمات الدينية، وأيضًا أطلق على سيد الآلهة اسم (براهما) والملحق على الكتب الفيدية الأربعة، وأخيرًا على الطائفة المفضلة لدى الهندوس (راجع بوذا الأكبر ص١٦، الهند القديمة ص٨٩).

(٥) راجع الفلسفة الشرقية ص٩٧. (٦) بوذا الأكبر ص١٦.

(٣) الأوبانيشاد: ويشتمل على الأفكار الفلسفية التي أنتجتها هذه الديانة[١].

وأهم ما أدخله كهنة (البراهمانية) على الدين الفيدي من تجديد هو وجوب تقديس رجال الدين ووضعهم في الصف الأول في الأمة بل واعتبارهم العمود الفقري للحياة الاجتماعية كلها، وقد اتخذوا لذلك سببًا يبرره في نظر الشعب، وهو أن رجال الدين هم وحدهم الذين يملكون التأثير على الآلهة، ومن ثم كان طبيعيًا أن يكون لهم المقام الأسمى، وأن يلقبوا بالآلهة الإنسانيين وأن يكون إكرامهم في مقدمة أنواع العبادات وإهانتهم وإساءتهم من كبريات الجرائم [٢].

ولهم عقائد أخرى مثل وحدة الوجود [٣] وتناسخ الأرواح [٤].

---

(١) الفلسفة الشرقية ص١٠٢.

(٢) المرجع السابق ص١٠٢-١٠٣.

(٣) فكانوا يعتقدون بالمبدأ الواحد الذي يعد كل فرد من بني الإنسان جزءًا منه غير منفصل عنه، وهو وإن انفصل عنه في الظاهر، فلابد أن يرجع إليه ويندمج فيه في النهاية، ويطلق (الأوبانيشاد) كتاب البراهمة الجديد على ذلك المبدأ الواحد اسم (براهمان) ويصفه بأنه الكلمة أو المبدأ الذي لا حد له، والكائن الذي يستمد وجوده من ذاته، وتستمد جميع الكائنات وجودها منه (راجع بوذا الأكبر ص١٨-١٩، الفلسفة الشرقية ص١٠٣-١٠٤. وقد ذكر البيروني اعتقادهم هذا فقال: إنهم -أي البراهمة- يذهبون في الموجود إلى أنه شيء واحد ((ويقول -فيما ينقله عن كتاب (بكيتا) وأما عن التحقيق فجميع الأشياء إلهية)) (راجع تحقيق ما للهند من مقولة ص٣٠) فوحدة الوجود تعني أن الله موجود وهو كل شيء وهناك مظاهر متعددة له، وبعبارة أخرى العالم هو الله، والله هو العالم ظهر بمظاهر متعددة، أما من يعارض وحدة الوجود فإنه -ما دام يقر بوجود الله- يرى أن الخالق خارج عن الخلق، وموجود غير ممتزج بالأشياء (د/ بركات دويدار: الوحدانية ص٨٢).

(٤) وكانوا يدينون بتناسخ الأرواح وهو يعني انتقال الروح بعد الموت من بدن إلى آخر (المعجم الفلسفي ص٥٥) وإلى هذا يشير (البيروني فيقول: كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعد من جملتها، فإنهم قالوا إن النفس: إذا لم تكن عاقلة لم تحط بالمطلوب إحاطة كلية دفعة بلا زمان واحتاجت إلى تتبع الجزئيات واستقراء الممكنات وهي وإن كانت متناهية فلعددها المتناهي كثرة والإتيان على الكثرة مضطر إلى مدة ذات فسحة، ولهذا لا يحصل العلم للنفس.....=

وقد عمدت البراهمانية بعد ذلك [١] فيما بين عامي ٨٠٠ ق.م-٤٠٠ ق.م إلى عقائد جديدة أهمها القول بالتثليث، فعبدوا آلهة ثلاثة: الإله براهما وهو الخالق وهو أصل الآلهة، والإله فشنو: وهو الإله الحافظ المجدد، والإله سيفا: وهو الإله المدمر المخرب [٢].

كما ظهرت بينهم أيضًا -في الفترة المشار إليها سابقًا- عقيدة التجسد وحلول الإله في الإنسان حيث اعتقدوا بحلول الإله (فشنو) في (كرشنا) [٣]، وفي غيره.

ثالثا: الديانة الجينية، والديانة البوذية:

يذكر العلماء أن هاتين الديانتين كانتا رد فعل لما أحدثته الديانة البراهمانية من التفريق بين الناس واعتبار الكهنة هم الطبقة الأولى في المجتمع، وأن لهم من المكانة مالا يستطيع أحد بلوغها، فهم وحدهم الذين يستطيعون التأثير على الآلهة والتعامل معهم بالطقوس والقرابين.

هذا إلى جانب أن البراهمانية نفسها استهدفت للنقد بما استحدثته من التعرض للكتاب المقدس لدى الهنود (الفيدا).

=إلا بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعال والأحوال حتى يحصل لها في كل واحد تجربة وتستفيد بها جديد معرفة، ولكن الأفعال مختلفة بسبب القوى وليس العالم بمعطل عن التدبير وإنما هو مذموم وإلى غرض فيه مندوب، فالأرواح الباقية تتردد لذلك في الأبدان البالية بحسب افتتان الأفعال إلى الخير والشر ليكون التردد في الثواب منبهًا على الخير فنحرص على الاستكثار منه وفي العقاب على الشر والمكروه فتبالغ في التباعد عنه ويصير التردد من الأرذل إلى الأفضل دون عكسه (تحقيق ما للهند من مقولة ص٣٨).

(١) يقول البعض: كان ذلك في حوالي القرن السادس قبل الميلاد وذلك حين بدأت آلهة الطبيعة في الاختفاء لتحل محلها (فشنر) وسيفا (راجع عبد الرحمن حمدي: الهند عقائدها وأساطيرها ص١١. سلسلة اقرأ. العدد ٤٣٢. ط. دار المعارف.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنة الأديان ص٢٧.

(٣) تروي بعض الأساطير أنه أحد ملوك شمال الهند (راجع الهند القديمة ص١١١، ١٣٤)، المرجع السابق ص٢٧-٢٨.

ذلك أن كهنة البراهمانية أخضعوا الفيدا لأغراضهم النفعية، فأولوها بما يتفق مع تياراتها المختلفة ولذلك لم يستطيعوا أن يحافظوا كل المحافظة على هذا التراث الهندي المقدس حيث جعلوه موضعًا للأخذ والرد، وأباحوا قابليته للنقد والاعتراض من حيث لا يقصدون هذا كله من جهة، ومن جهة أخرى فإن تمسك الكهنة باحتكار الطقوس وحصر الاحترام والإجلال في طائفتهم - وزعمهم أنهم آلهة الأرض- كل ذلك قد أحنق عليهم العقول المفكرة وأهاج ضدهم الرؤوس الممتازة، فهب عدد غير قليل من هؤلاء الممتازين وأسسوا في القرن السادس قبل الميلاد مدارس حرة جديدة [١].

وكان من أهم المدارس التي نشأت لمعارضة البراهمانية: الجينية والبوذية.

وقد ظهرت هاتان الديانتان في وقت واحد ولهدف واحد، هو تخفيف حدة الديانة البراهمانية وتوجيه الطعنات إليها -أو إن شئت دقة فقل «**المحاولة إصلاح بعض تعاليمها**» [٢].

وكان كل من هاتين الديانتين ينشر تعاليمه في عهد بمبيسار ملك الهند المتوفى سنة ٥٢٠ ق.م وكان لكل ديانة منها تعاليمها الخاصة بها ولذلك سوف نعرف كل واحدة منهما -بتعريف مختصر- على حدة.

١- الجينية:

أما الجينية [٣] فمؤسسها يدعى (فارذ أمانا ماهافيرا) ولد حوالي سنة ٥٩٩ ق.م، وتوفى سنة ٢٥٧ ق.م.

وقد أقرت هذه الديانة مبدأين من أكثر المبادئ شيوعًا في الهند وهما:

(١) الفلسفة الشرقية ص١١٠.

(٢) جوزيف كاير: حكمة الأديان الحية ص١١. ترجمة حسين الكيلاني. دار مكتبة الحياة سنة ١٩٦٤م. بيروت.

(٣) تنسب هذه الديانة إلى (جينا) وليس هذا اسم علم ولكنه صفة معناها القاهر أو المتغلب وقد وصفت بذلك لأن مؤسسيها عرفوا بكبح شهواتهم والتغلب على رغباتهم المادية (بوذا الأكبر ص٢٦).

الزهد، والتقشف إلى أقصى حد، ومبدأ الامتناع عن تعذيب الإنسان وأي نوع من أنواع الحيوان بأي صورة من صور التعذيب [١].

كما اعتقد الجينيون بوجود عدد من الآلهة أو الكائنات المقدسة، ومجموعة كبيرة من الأرواح والكائنات الطبيعية الطيبة أو الشريرة [٢].

هذا إلى جانب اعتقادهم بتناسخ الأرواح، ولا تهتم هذه الديانة بالعقيدة بقدر اهتمامها بالسلوك العملي.

والطريق الذي رسمته هذه الديانة للنجاة يرتكز على أربعة أسس جوهرية هي الأمانة، والصدق، وتجنب القتل، والتريض على الطهر [٣].

٢- البوذية:

أما البوذية فتنسب إلى (جوتامابوذا) [٤] الذي ولد في عام ٥٦٠ ق.م وتوفى في عام ٤٨٠ ق.م.

وقد عاش بوذا حياة الزهد والتقشف [٥]، وبرغم أن والده كان رئيس قبيلة وكان من الطبقات الممتازة، لكن بوذا فضل التنسك والعبادة في بداية حياته، ثم بعد ذلك وهو في سن السادسة والثلاثين أحس -كما يقول د/ محمد غلاب- بأن المعرفة قد اندفعت إلى قلبه دفعة واحدة وأن أداء واجبه منذ اليوم

---

(١) المرجع السابق: نفس الصفحة. (٢) المرجع السابق ص٢٩.

(٣) الفلسفة الشرقية ص١١٥.

(٤) يذكر الأستاذ/ حامد عبد القادر أن (بوذا) ليس اسم علم على شخص وإنما هو لقب شرف ديني عظيم معناه الحكيم أو المستنير أو ذو البصيرة النافذة، ولا يطلق في اصطلاح المتدينين من الهنود إلا على كل هؤلاء الأفراد القليلين من بني الإنسان الذين جاهدوا جهادًا روحيًا عنيفًا لا حد له في غير ملل ولا ضجر في سبيل الوصول إلى الحق، هؤلاء الذين انتصروا على شهواتهم وعلى أنفسهم حتى وصلوا إلى أعلى درجات الصفاء والسمو الروحي وهم بذلك يصبحون أهلاً لأن يتصلون بالملأ الأعلى (بوذا الأكبر ص٣٤).

(٥) عن تفاصيل حياة بوذا راجع ما يأتي: فلاسفة الشرق ص٢١١، الهند القديمة ص٩٤٥، المرجع السابق ص٣٥.

لم يعد يتحقق بالتنسك والتأمل فحسب وإنما يتناول إلى جانب ذلك شيئًا آخر وهو الدعاية لمذهبه في كل مكان ومحاولة غرسه في كل قلب ولذلك ذهب يدعو لديانته جهرًا وفي غير مبالاة».

هذا وقد اقتنع بديانته عدد كبير من الهنود، وبدأت تنتشر شيئًا فشيئًا حتى انتشرت في بلاد الشرق.

واهم مبادئ بوذا الدعوة إلى التقشف والزهد في اغراض الدنيا الزائدة وأقام بوذا مذهبه على أربع حقائق وهي باختصار:

(١) أن هذا العالم كله هم وحزن وألم.

(٢) أن سبب الهم والحزن والألم هو الشهوة.

(٣) لكي يتخلص الإنسان من الهم ويهزم ما يشعر به من ألم وحزن يجب أن يتغلب على الشهوة وأن يقطع كل صلة له بالحياة المادية.

(٤) ولكي يصل الإنسان إلى هذا الغرض -وهو القضاء على أي من آثار الشهوة- عليه أن يتبع في سلوكه في الحياة ثمانية مبادئ وهي:

(١) العقائد الصحيحة ويقصد بها الحقائق الثلاث الأولى المتعلقة بالهم والحزن.

(٢) الأغراض الشريفة ويقصد بها عمل الخير والتفكير فيه واجتناب الاتجاه إلى الشر والتفكير فيه.

(٣) القول الطيب.

(٤) العمل الصالح.

(٥) اتباع خطة قويمة في الحياة وكسب العيش.

(٦) بذل الجهد الصادق.

(٧) الاهتمام.

(٨) صدق التأمل الروحاني [١].

ويتبين من هذا النسق أن ديانة بوذا كانت ديانة أخلاقية عملية تنزع إلى العمل الصالح في الحياة الدنيا.

وكان بوذا يركز على حل مشكلات الناس وآلامهم والدعوة إلى الخير والبعد عن الشرور والآثام، ولكن مع ذلك لم يرو عنه الدعوة إلى عقائد واضحة في الإله.

يقول د/ محمد الندوي: (إننا لا نجد في تعاليم بوذا ومبادئه أثرًا يدل على إيمانه بإله واحد أو عدة آلهة، أي بالتوحيد ولا بالوثنية) [٢].

«فلم يؤثر عن بوذا نفسه أنه تعرض للألوهية بإثبات أو نفي، ومع ذلك يروى أن البوذية الأولى كانت تعترف بوجود الآلهة الذين كان يعترف بهم البراهمة» [٣].

هذه هي الديانة البوذية الأولى، ولكن بعد وفاة بوذا نسج الذين جاءوا بعده حوله كثير من الأساطير والخرافات، وأقاموا حول شخصه هالة من التقديس والإجلال والتعظيم، ووصل الأمر عند بعضهم [٤] إنهم **«اعتقدوا فيه أنه إله تجسد في صورة بشرية»** [٥] ومثلوه في صورة المنقذ والمخلص للناس [٦].

وهكذا يتبين لنا أن البوذية قد تغيرت بعد بوذا وتبدل أمرها وأصبحت شخصية بوذا هي المحور الأساسي لهذه الديانة في معتقداتها ومبادئها.

---

(١) بوذا الأكبر ص٨٣-٨٤.

(٢) الهند القديمة ص١٤٩.

(٣) بوذا الأكبر ص٧٦.

(٤) بعد وفاة بوذا اختلف أتباعه حوله اختلافًا كبيرًا وانقسموا إلى جماعتين: جماعة الهينايانا وجماعة الماهايانا، وهذه الجماعة الأخيرة هي التي أضفت على بوذا صفات الألوهية وعرضته في صورة رب العالمين، وهذه العقيدة هي التي انتقلت إلى كل من الصين -واليابان وانتشرت فيهما.
أما الجماعة الثانية وهي (الهينايانا) فقد عرضته في صورة بشرية وكان أمرها منحصرًا في سيلان (راجع الهند القديمة ص١٥٤).

(٥) المرجع السابق ص١٥٢.

(٦) معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثاني) ص٤٨٨.

هذه هي أهم الخطوط الرئيسية لبعض الديانات الهندية القديمة التي كان لبعضها بعض الأثر على الديانة المسيحية.

اتصالات بلاد الهند مع الشعوب الأخرى قبل وأثناء العصور الميلادية الأولى:

كانت لبلاد الهند قبل فتوحات الإسكندر الأكبر بعض الاتصالات بالشعوب الأخرى وإن كانت توصف في بعض الأحيان -بالقلة أو الندرة.

ففي الفترة من القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن الرابع قبل الميلاد - وخاصة بعد تقدم الفارسيين على اليونانيين- **«نشطت التجارة والملاحة بين الهند والشرق الأوسط، ولم تكن السفن الهندية تجري في أنهار الهند والجنجا، والجمنا** [(١)] فحسب بل امتد نطاقها إلى البحار والمحيطات، فقد ترددت سفنها بين بحر العرب والخليج العربي، واتصلت اتصالاً وثيقًا ببلاد الأشوريين وتبودلت العلاقات التجارية بينهما، وتردد التجار بين البلدين على السفن، وكذلك توجد إشارات إلى امتداد نطاق التجارة إلى مصر في هذه الآونة بل وإلى سواحل شرق إفريقيا، وكذلك امتدت إلى جنوب شرق آسيا من ناحية أخرى[(٢)].

هذا ويشير بعض العلماء إلى أن بلاد الهند كان لها أيضًا بعض الاتصالات باليونان قبل فتوحات الإسكندر الأكبر.

وتبدأ تلك العلاقات عن طريق المستعمرات الأيونية وخاصة مدينة ميليتوس وأسواقها، فلم يعرف التجار الهنود عائقًا للوصول إلى تلك الأسواق الغنية، كما استطاع الوسطاء أن يحملوا البضائع والآراء الهندية أيضًا إلى هناك، وقام

(١) نهران من أنهار الهند الأول يبلغ طوله ٢٥٠٠ كم والثاني ١٣٦٠ كم (راجع الهند القديمة ص١٤-١٥).

(٢) المرجع السابق ص١٦١.

هنود آخرون -بزيارة بلاد اليونان لعرض حكمتهم على اليونان أو لتلقي الحكمة عنهم [١] ويدل على ذلك ما روي من أن سقراط قابل أحد حكماء الهند في أثينا فسأل الحكيم الهندي سقراط قائلاً له: إنك تدعو نفسك فيلسوفًا فبماذا تشتغل؟ فأجاب سقراط إنه يدرس الشئون البشرية، فأخذ الهندي يضحك قائلاً: إنه يستحيل للمرء أن يفهم الشئون البشرية ما لم يدرك الشئون الإلهية أولا [٢].

هذه القصة إحدى الشواهد الدالة على وجود بعض الاتصالات الحقيقية بين فلاسفة اليونان وفلاسفة الهنود.

هذا إلى جانب أن هيرودوت (المؤرخ اليوناني) -الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد- ذكر بعض عادات الهنود في كتابه المسمى بتاريخ هيرودوت [٣].

كل هذه الاتصالات كانت إلى حد ما محدودة، ولكن بعد فتوحات الإسكندر الأكبر حدثت الاتصالات على نطاق أوسع، حيث امتدت فتوحات الإسكندر الأكبر حتى وصلت إلى وادي نهر الهند سنة ٣٢٦ ق.م. وهذه الفتوحات قد أعطت فرصة كبيرة لالتقاء خصب بين الحضارات الشرقية واليونانية والإيرانية والهندية خاصة «**وأن الإسكندر الأكبر قد رافقه إلى الهند عدد من العلماء والفلاسفة والمؤرخين اليونانيين بل وعند مغادرته بلاد الهند اصطحب عددًا من العلماء الهنود بناء على رغبة أستاذه ومعلمه أرسطو طاليس** [٤]، وبهذا تم التبادل الفكري والعلمي بين الهند وبلاد اليونان» [٥] والبلاد الأخرى الخاضعة للاسكندر الأكبر آنذاك -وهي بلاد الشرق- وساعد على ذلك أن الاتصالات

(١) تاريخ العلم جـ٤ ص٣٤. (٢) المرجع السابق جـ٢ ص٧١.

(٣) المرجع السابق جـ٢ ص١١٦.

(٤) أرسطو طاليس هو الفيلسوف اليوناني المشهور، عاش ما بين سنتي ٣٨٤ ق.م، و٣٢٢ ق.م (عن حياته وفلسفته راجع تاريخ الفلسفة اليونانية ص١١٢).

(٥) الهند القديمة ص١٦٧.

البرية والبحرية كانت سهلة وميسورة.

وفي عصر الإمبراطور (أشوكا) [١] أخذت العلاقات الدينية تزدهر أكثر مما كانت حيث اعتنق هذا الإمبراطور الديانة البوذية وتحمس لها حتى أصبح من أكبر المبشرين بها «**وبذل كل ما لديه من جهد ونفوذ في نشر هذه الديانة لا في إمبراطوريته فحسب بل فيما جاورها وما وراءها أيضًا، وكان من وسائل نشره لهذا الدين أنه أرسل إلى جميع أنحاء العالم مبشرين بتعاليم البوذية، فذهب فريق منهم إلى كشمير، وآخر إلى سيلان، وثالث إلى الشام، وغيرها من بلاد السلوقيين خلفاء الإسكندر، ورابع إلى مصر بلاد البطالمة** [٢].

كما أرسل بعض السفراء إلى بلاد اليونان وإنطاكية والإسكندرية رمزًا لاستمرار العلاقات وتوطيدها بين هذه الدول [٣]، وكان يهدف أيضًا من وراء هؤلاء السفراء نشر البوذية.

وهكذا انتشرت البوذية بسبب هذه الجهود التبشيرية، فانتشرت في المناطق الهامة التي كان لها تأثيرها القوي على العالمين اليوناني والروماني، حيث انتشرت في إنطاكية [٤] وكان لها وجود في الإسكندرية.

«**ولم تأت سنة ٢٠٠ ق.م إلا والمؤلفات البوذية منتشرة في طول آسيا وعرضها**» [٥] وقد اعتنق البوذية جميع اليونانيين المنتشرين من الهند إلى باكتريا على حدود إيران من ناحية بحر قزوين، وبهذا أصبحت البوذية منتشرة في هذه المناطق، وعرض فيها بوذا بصورة الإله المتجسد.

كما انتشرت هذه العقيدة بين الرومانيين في الشرق الأوسط كله [٦] وساعد على ذلك زيادة حركة التبادل التجاري والثقافي، بين بلاد الهند

(١) إمبراطور هندي عاش ما بين عامي ٢٧٣ ق.م، و ٢٣٣ ق.م.
(٢) بوذا الأكبر ص١٠٦.
(٣) الهند القديمة ص١٧٤.
(٤) المرجع السابق ص١٩٨.
(٥) بوذا الأكبر ص١٠٦.
(٦) الهند القديمة ص١٧٥.

والبلاد الأخرى حيث تعددت الاتصالات واللقاءات بينهم **«وكثر ارتياد القوافل التجارية التى تحمل البضائع الهندية إلى بلاد العالم أو تحمل منها إلى الهند»** [١].

ولم تتوقف هذه الاتصالات في عصر الإمبراطورية الرومانية بل زادت. يقول ولز: **«إنه حدث في عهد الإمبراطورية الرومانية أن أصبحت الإسكندرية أعظم مركز للتجارة في العالم، وكان للتجار الرومان الإسكندريين مستقرات عديدة في جنوب الهند»** [٢].

وكان للهنود أيضًا مستقرات في بلاد الإسكندرية ويدل على ذلك أن بعض الكتاب المسيحيين الأولين أشاروا إلى الهنود في الإسكندرية وتحدثوا عن عقائدهم [٣].

هذا إلى جانب استمرار الاحتكاك التجاري بين بلاد الهند والبلاد الأخرى.

ولا شك أنه من خلال هذا الاحتكاك التجاري تنتشر الثقافات ويحدث العديد من التبادل الثقافي والعلمي، ولا شك أن المعتقدات الدينية أسرع في انتشارها من العلوم والثقافات الأخرى، وكل هذا يدل على أن الديانات الهندية كانت معروفة في البلاد اليونانية والرومانية وكان لها تأثيراتها على بعض المعتقدات والأفكار الفلسفية [٤].

* * *

(١) المرجع السابق ص١٧٤.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثاني) ص٤٦٩.

(٣) المرجع السابق ص٤٧٠.

(٤) لقد أشار د/ علي زيغو إلى تأثر الفلسفة الهلنستية ببعض النظريات الهندية (راجع د/ علي زيغو: الفلسفات الهندية ص٦٤). دار الأندلس للطباعة والنشر. ط. أولى سنة ١٩٨٠. بيروت.